الفصل التاسع

الثورة الصناعية فى فرنسا

- الغاء النقابات الطائفيه
- قيام الثوره الصناعيه
- تطور الصناعه و نتائجها
- نظام الصناعه
- نتائج الثوره الصناعيه

الثورة الصناعية فى فرنسا :

كانت فرنسا فى اوائل القرن التاسع عشر دولة زراعية بحته ، اذ لم تلق فيها الصناعات اليدوية من النجاح والرواج مالقيته فى انجلترا قبل ذلك العهد . وعلى الرغم من ظهور الثورة الصناعية فى فرنسا قبل غيرها من الدول الاوربية عدا انجلترا ، فان الرزاعة قد احتفظت فيها بأهميتها فى خلال القرن الماضى على اعتبار كونها العماد الاقتصادى لحياة الدولة ، وان تعرضت لمنافسة متزايدة من جانب الصناعة .

الغاء النقابات الطائفية :

كان للثورة الفرنسية فضل كبير فى احياء الصناعة فى فرنسا لما احدثته من اصلاحات الاقتصادية العديدة ولاسيما القضاء على النقابات الطائفية ، فقد قيدت تلك النقابات حرية العمل والعمال وقاومت كل جديد فى الصناعة ولذا كان الغاؤه تمهيداً لازماً لقيام الثورة الصناعية والتوسع فى استخدام الالات وقيام صناعات جديدة متعددة على اساس النظام الراسمالى.

وقد اصدرت الجمعية الاهلية سنة ١٧٩١ قانوناً منح جميع الافراد حرية كاملة لمزاولة اية مهنة وباية وسيلة على شرط الحصول على ترخيص الحكومة بذلك والتعهد بالخضوع لانظمة العمل الجديدة ، وأهمها حظر اتحاد العمال او اضرابهم ، غير ان نقتضيات الحروب الكثيرة التى احتملتها فرنسا فى عصر نابليون استلزمت عودة كثير من النقابات الى سابق نفوذها ، كنقابة الخبازين والقصابين ، والمشتغلين بالطباعة ، نظراً لما اشهر به نابليون من حب النظام والسلطة ، ولرغبته فى الاشراف على توزيع الغذاء وتقييد حرية الصحافة فى تلك السنوات العصيبة. وقد استمرت تلك النقابات قائمة فى فرنسا حتى منتصف القرن الماضى، ولكن

اغلب المهن والصناعات كانت متمتعة بحريتها منذ سنة ١٨١٥ .

قيام الثورة الصناعية :

تأخرظهور الثورة الصناعية فى فرنسا عنه فى انجلترا الان تلك الثورة لم تلق ما لقيته فى انجلترا من الظروف المساعدة على قيامها ونجاحها كتوافر رؤوس الأموال والأيدى العاملة والوقود ، كما حرمت من الحرية الاقتصادية والساسية التى كانت من اهم لوازمها . وقد عملت محاولات كثيرة فى اواخر القرن الثامن عشر لادخال الالات والانظمة الصناعية الجديدة فى فرنسا فأقيم فيها أول مصنع لنسيج القطن على الطراز الحديث سنة ١٧٨٤ ، ولكن شدة مقاومة المشتغلين بصناعة الغزل والنسيج اليدوية حالت دون توسيع فى تلك الخطة . كما ان كثرة الاضرابات والحروب التى تعرضت لها البلاد فيما بين سنة ١٧٨٩ وسنة ١٨١٥ استنفذت ثروتها وقوتها وقضت على روح الثقة التى لاغنى عنها لقيام المشروعات الاقتصاديةى الكبيرة . وعلى الرغم من المساعدة القيمة التى منحها نابليون للصناعة الفرنسية باتباعه سياسة النظام القارى لمحاربة تجارة انجلترا ، فان تلك الساسية عرقلت تقدم الصناعة بقدر ما ساعدته ، اذ حرمتها من استيراد الالات جديدة من انجلترا والانتفاع بها فى احياء صناعة البلاد ولهذا استمر التقدم الصناعى بطيئاً فى ذلك العهد .

ويصح اعتبار سنة ١٨٢٥ مبدأ لقيام الثورتة الصناعية فى فرنسا، لان انجلترا فى تلك السنة رفعت الحظر الذى سبق ان وضعته على تصدير الالات الجديدة الى الخارج ، فتمكنت فرنسا من التوسع فى استيرادها وتقليدها واستطاعت صناعتها ان تقدم بخطوات سريعة بعد ذلك. هذا فضلا عن التغير العظيم الذى اصاب فرنسا بعد ان تمتعت بعشر سنوات من اسللم وتمكنت من استرادا نشاطها وقوتها . وتخلصت من الاعياء الذى حل بها

فى عصر نابليون ، ولذا دبت الثقة فى النفوس واتجه اصحاب رؤوس الاموال الى توظيف ثرواتهم فى الصناعات الجديدة والمساهمة فى ارباحها .

تطور الصناعة ونتائجه :

كان من مستلزمات تقدم الصناعة فى فرنسات التوسع فى استخراج الفحم والحديد ، غير ان فقر فرنسا فى الفحم وصعوبة نقل الحديد الى الفحم قضيا على صناعة البلاد بأن تكون متواضعة فى تقدمها بالنسبة اليها فى انجلترا والمانيا . وقد سبق لنا بيان ان اهم حقول الفحم فى فرنسا تقع فى الشمال الشرقى على مقربة من الحدود البلجيكية ، وان استخراج الفحم منها ونقله الى بقية انحاء البلاد يتكلف نفقات كبيرة . اما الحديد فيوجد بكميات وفيرة فى اقليم اللورين ، ولكنه كثير الاختلاط بالفسفور ويقع على مسافة كبير من حقول الفحم ، ولذا لم تتمكن فرنسا من الاستفادة منه على احسن وجه ، لا سيما وان طريقة "بسمر" لم تعرف الا قبيل استيلاء المانيا على اقليم اللورين بسنتين اثنين . ويمكن تقدير مكانة فرنسا الصناعية اذا قورنت بغيرها من الدول الكبرى من ان مقدار الفحم المستخرج منها سنة ١٩١١ بلغ ٣٨.٠٠٠.٠٠٠ طن ، اما فى المانيا فبلغ نحو ٢٦٨.٠٠٠.٠٠٠ طن، وفى الولايات المتحدة ٤٥٥.٠٠٠.٠٠٠ طن.

ونظراً لفقر فرنسا فى المعادن نسبياً كانت الصناعات الثقيلة والكبيرة الانتاج اقل اهمية من الصناعات الدقيقة والمحددة الانتاج لأن الاخيرة تلائم ظروف البلاد الاقتصادية كما تلائم ماجبل عليه شعبها من سلامة الذوق وتقدير الفن والجمال . ولهذا امتازت فرنسا بصنع الكماليات وادوات الترف التى لا يمكن انتاجها او استهلاكها بكميات كبيرة، ونجم عن ذلك أن نظام المصانع لم تنجح تماماً فى القضاء على الصناعة المنزلية فى فرنسا كما نجح فى انجلترا ، لان الالات لا تستطيع وحدها ان تقوم لانتاج المصنوعات

الدقيقة التى تتطلب من العامل مهارة خاصة وذوقاً فنياً راقياً.

وكانت صناعة التعدين ، والصناعات المعدنية اسبق من غيرها تاثراً بالثورة الصناعية ، اما صناعة المسنوجات فلم تتأثر إلا اخيراً . وقد اشتملت فرنسا سنة ١٨١٠ على نحو ١٥ الة بخارية لنزح مياه المناجم ، ثم اخذت تلك الالات فى التزايد السريع فى العدد والتنوع ، فبلغ عددها ٦٢٥ الة سنة ١٨٣٠ ،و ٥٣٢٢ الة سنة ١٨٥٠ و ١٤.٥١٣ الة فى سنة ١٨٦٠ ، فى حين ان عدد انوال النسيج الألية لم يزيد على ٥.٠٠٠ سنة ١٨٣٤ ، ثم بلغ نحو ٣١.٠٠٠ سنة ١٨٤٦.

غير ان النهضة الصناعية لم تتقدم جدياً فى فرنسا الا بعد قيام الجمهورية الثالثة سنة ١٨٧١ ، اى بعد ان استقرت الحالة السياسية فى البلاد وتقدم العلم والاختراع تقدماً عظيماً بلائم حاجات الصناعات الفرنسية الراقية ، ويجعل الالات قادرة على منافسة الايدى العاملة فى صناعة المسنويجات الدقيقة . ومما يشهد بتقدم فرنسا الصناعى فى ذلك العهد ان عدد المخترعات المسجلة فيها زاد من ٢.٧٨٢ سنة ١٨٧٠ الى ١٢.٩٥٣ سنة ١٩٠٥ ، وزاد مقدار الفحم المستخرج منها فى هذه الفترة من ١٣.٠٠٠ طن الى ٣٨.٠٠٠ طن وبلغ مقدار الحديد المستخرج سنة ١٩٠٠ ، ٦٠٠.٠٠٠ طن ، كما زادت قوة الاتها البخارية نحو ٣٠٠% فيما بين سنة ١٨٩١ وسنة ١٩٠٦.

ولعل احسن مقياس لتقدم فرنسا الاقتصادى فى ذلك الوقت ان مجموع قيمة انتاجها الصناعى زاد من ٥ مليار فرنك سنة ١٨٧٠ الى ١٥ مليار فرنك سنة ١٨٩٧ ، مع ان فرنسا فلا العام الأول شملت اقليمي الالزاس واللورين وهما من اهم اقاليمها الصناعية وكان فقدهما سنة ١٨٧١

ضربة اقتصادية كبيرة عليها لانها بذلك فقدت اهم موارد الحديد والبوتاس فيها ، ونحو ثلث ما كانت تملكه وقتءذ من مغازل القطن الآلية.

وقد ظهر فى فرنسا التخصص الاقليمى فى الصناعة كما فى انجلترا فاشتهر حوض الرون بصناعة المنسوجات الحريرية (ليون) ، وحو اللوار الأعلى (سنت اتيين) بالصناعات المعدنية ، والاقليم الشمالية الشرقية (ليل) بصناعة المنسوجات الصوفية والقطنية ، فى حين ان صناعة النبيذ وهى من اهم الصناعات البلاد قامت فى جميع احواض الانهار الكبيرة فيها . وقد قدر ان نحو ٥٠% من مجموع العمال فى تسع مقاطعات فرنسية كانوا سنة ١٩٠١ مشتغلين بالصناعة دون الزراعة ، وبلغت تلك النسبة فى المقاطعات الشمالية الشرقية ٦٤% .

نظام الصناعة :

نحت فرنسا نحواً خاصاً فى نظام الصناعة ، فصارت بذلك مختلفة عن الدول الصناعية الاخرى ، فبينما مالت الصناعة فى انجلترا والمانيا الى زيادة التركز والتوسع ، باندماج الشركات بعضها فى بعض وتضخم رؤوس الاموال وكثرة الانتاج ، اذ نرى صناعة فرنسا قد مالت الى الفردية اللامركزية ، ولم يزد فيها عدد العمال المأجورين على ٥% بالنسبة الى عدد اصحاب الاعمال ففى سنة ١٩١٤ قدر ان مجموع المشتغلين بالصناعة فى فرنسا بلغ نحو ١٩.٦٥٢.٠٠٠ نسمة وانقسموا على النحو الآتى:

- ٨.٩٩٦.٠٠٠ من اصحاب الاعمال والمشتغلين لحسابهم الخاص .
- ١٠.٦٥٥.٠٠٠ من العمال المأجورين .

ولذا كانت فرنسا فى ميدان الصناعة ممتازة بالمصانع الصغيرة ، كما اشتهرت فى ميدان الزراعة بالملكية الصغيرة . وقد جنت فرنسا من جراء

هذا النظام الفوائد الاتية:

١- ضمان النجاح فى صناعات الترف التى تخصصت فيها والتى يتعذر انتاجها فى المصانع الكبيرة .

٢- زيادة العدالة فى توزيع الثروة الاهلية لان الارباح الكبيرة الناتجة عن الصناعة تصل الى عدد كبير من ابناء الامة ، بدلاً من ان تكون مقصورة على طبقة صغيرة من اصحاب رؤوس الاموال .

٣- تمتع عدد كبير من السكان بنعمة الاستقلال فى العمل وما صحب ذلك من فضائل الاقتصاد والنشاط والاعتماد على النفس ، ولذا استفاد المجتمع من الناحية المعنوية فوائد جليلة .

٤- عدم تعرض فرنسا لكثير من مساوئ الثورة الصناعية التى تعرضت لها انجلترا والمانيا كشدة ازدحام السكان فى المدن وارهاق العمال وشخطهم ، واختلال التوازن فى توزيع السكان ، واضمحلال الزراعة وتركيز الثروة فى ايد قليلة.

غير ان فرنسا بسبب كثرة مافيها من المصانع الصغيرة تلقى صعوبة فى مواجهة منافسة الدول الصناعية الاخرى التى تقوم فيها الصناعة على اساس الانتاج الكبير ، ولكنها مع ذلك لا تتعرض لتلك المنافسة كثيراً بسبب تخصصها فى صناعات الترف وتفوقها فيها بفضل نظامها الصناعى ومواهب شعبها الفنية . وريب فى ان فرنسا احسنت فى اختيار نظام الصناعة الذى يلائمها ، وانواع المصنوعات التى اشتهرت بها ، لانها بذلك صارت من اكثر الدول تمتعاً بالاستقلال الاقتصادى ، وأقلها اعتماداً على التجارة الخارجية ، واذا كانت قد حرمت نفسها من المزايا الكثيرة التى تنجم عن كثرة الانتاج الصناعى ورواج التجارة الخارجية ، فانها فى الوقت نفسه

صارت قليلة التعرض للأزمات الاقتصادية ومشاكل البطالة وغيرها من الولايات التى لم تنج منها دولة صناعية كبرى . على ان فرنسا ليست خلواً من الصناعات والشركات الكبيرة التى تضارع فى ضخامة رؤوس أموالها ووفرة انتاجها ما يوجد من أمثالها فى الدول الاخرى ، اذ ظهرت فيها حديثاً صناعات كبيرة كصناعة السيارات والأسلحة ، وعرفت تلك الصناعات كيف تغزو الاسواق وتنافس مصنوعات انجلترا والمانيا وامريكا ، ولكن ذلك يعتبر تطورا حديثاً وشاذا فى صناعة فرنسا ، ولا تزال تلك الصناعة ممتازة قبل كل شئ بالميزات التى سبق بيانها .

نتائج الثورة الصناعية :

يتبين مما سبق ان نتائج الثورة الصناعيةى التى اجملنا شرحها فى الكلام عن انجلترا قد ظهرت جميعاً فى فرنسا ولكن بطريقة مخففة ، وذلك نظراً للاختلاف العظيم بين انجلترا وفرنسا من حيث اهمية الزراعة لكل منهما ، ونظام الصناعة الذى يميزها . فان كثرة سكان الريف فى فرنسا وقلة المصانع الكبيرة فيها وعدم ازدحام السكان فى المدن الصناعية ازدحاماً شديداً لم يكن من شأنه ان يساعد على ظهور كثير من نتائج الثورة الصناعية المعروفة فى انجلترا ظهوراً جلياً سواء اكان ذلك من الناحية الاجتماعية او الاقتصادية او السياسية.